يبذلون كل شيء اشتياقا لارض يعتقدون بقدسيتها ولهم المقدرة المالية والسياسية في اوروبا ما يكفل لهم النجاح رغما عنا وعن الحلفاء لان الاتراك والالمان على استعداد ان يعدوهم بما سمحت به الحلفاء ، ولكن الانجليز قد قيدوا وعدهم بشروط عدم مس مصالح الاهالي .... وليس بوسع البلاد العربية مقاومة المشروع وتعكير خواطر الامة الاسرائيلية على العرب في حالة احتياجنا لاصدقاء ومؤازرين الأن ، وعد المخابرات بالصلح العام ، واليهود هم الان اعظم سند لنا وهم باستعداد تام بالاموال لاجل العمران وترقي البلاد باسباب المعيشة والثروة ، ومن جملة الصوالح التي لهم معنا هي انهم يرجحون تفضيل جوارنا على غيره لما بيننا وبينهم من التشابه باعتبار الاصل واللغة ، الا ان موقف الحسين ظل غير مشجع . ورغم حرص كلايتون بضرورة ابقاء الحسين على المسرح ، وصفه« بانه طيف عنيد يسعى لتحويل كل شيء غير محدد او واضح لمصلحته[٢٤] » .

البعثة الصهيونية الى الشرق ودعوى التفاهم

وكان على البعثة الصهيونية التي جاءت في آذار(مارس) ١٩١٨ الى الشرق برئاسة وايزمان لتشرف عمليا على وضع التصريح موضع التنفيذ ، ان تقوم بجهد كبير وبرعاية السلطات البريطانية لتترك انطباعا عاما حول توثيق عرى المودة بين اليهود والعرب . وكان اسلوب الاقناع الذي اتبعه وايزمان لدى الزعامات السورية في مصر (وسيكرره في فلسطين) ، لشرح اهداف الصهيونية هو ان ما يطلبه ليس اقامة حكومة يهودية بل اقامة وطن لليهود في الاراضي المقدسة يتيح لهم ممارسة حياتهم القومية ، ومشاركة سائر السكان بالحقوق المتساوية ، وهو لا يهدف الى الاستفادة من الظروف الحالية بشراء الارض بل التجهيز لاستقبال المهاجرين في اراضي الدولة والاراضي المهملة ، وانشاء مدارس فنية للجميع . واكد حرصه على الاماكن المقدسة واملاك الوقف ، وتحدث بعطف عن الثورة العربية واقترح انشاء لجنة مختلطة لتقوية الشعور المتبادل وازالة الشقاق . وقد علق كوردنواليس (مدير المكتب العربي) على الانطباع العام الاولي لقدوم البعثة في اذهان السوريين[٢٥] « ان الصهيونية جاءت لتقول انها اكثر اعتدالا في اهدافها مما توقعوه ، وانهم لو قابلوها بروح استرضائية قد يجنون فوائد في المستقبل » ولاحظ ان موقف الزعماء قد تحول من معارضة متصلبة الى تعرف تدريجي للقوى وراء الصهيونية وقبول كاره بان اغراضها ليست سوداء كما صورت ، وانه في ظروف معينة قد يستفيد السكان حتى من الغزو اليهودي .

وقد تقدم الزعماء السوريون بمذكرة الى ممثل الحكومة البريطانية في البعثة الصهيونية[٢٦] تتضمن الشروط الرئيسية التي يجب ان تقوم عليها السياسة المرغوبة ، لتفاهم متبادل وتحالف بين عرب فلسطين وان يكون نظام الحكومة في المستقبل مبنيا على العدالة والمساواة في الحقوق بين العناصر المختلفة ، وان يخضع المستوطنون الجدد لقوانين البلد . ورأت تشكيل لجنة مشتركة لدراسة ورسم كل السبل التي تكفل تقوية الروابط الاقتصادية بين العناصر المختلفة وتنمية شعور بالحوار . واشترطت اللغة العربية لغة رسمية والتعليم بها اجباريا ، ولم تمانع بتسهيل شراء اراضي الدولة للاستيطان الصهيوني . عند تدفق الهجرة مع ترك حصة معقولة من هذه الاراضي للعناصر الاخرى . وطلبت اخذ ضمانات لحماية السكان خوفا من استغلال ظروف الفقر الناجم عن الحرب .